دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

دار المصطفى بتريم
للدراسات الإسلامية

ملتقى الدعاة السنوي العشرون

بعنوان

القول البليغ: مقوماته ومقاصده ومساقات إيراده

الإثنين 29 ذي الحجة 1447هـ إلى الخميس 3 محرم 1448هـ - الموافق 15- 18 يونيو 2026م

المحور الأول

مساقات إيراد القول البليغ الحكمة - التوقيت - السياق

الشيخ الداعية/ وليد بن فرج عطية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الكلمةَ أمانةً ومسـؤوليةً، وجعلَ حُسـنَ البيانِ من أعظمِ النِّعَمِ التي امتنَّ بها على الإنسانِ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾.

فقرنَ بين خَلْقِ الإنسـانِ وتعلُّمِهِ البيانَ، كأنَّ البيانَ هو الذي يُكمِلُ الخَلْقَ ويُميِّزُ الإنسـانَ عن سـائرِ المخلوقاتِ، والصـلاةُ والسـلامُ على سـيِّدِنا ومولانا محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، الذي أُوتِيَ جوامعَ الكَلِمِ، فكان كلامُه أبلغَ الكلامِ وأهداهُ وأقومَهُ، حتى قال جلَّ من قائلٍ: ﴿وما يَنْطِقُ عنِ الهوى * إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى﴾.

أمَّا بعدُ، فإنَّ موضـوعَ القولِ البليغِ من الموضـوعاتِ التي تتجدَّدُ الحاجةُ إليها في كلِّ عصرٍ، لا سيَّما في زمنٍ كثرتْ فيه وسـائلُ التواصـلِ، وتنوَّعتْ منابرُ التأثيرِ، وأصـبحَ الخطابُ الناجحُ ليس مجرَّدَ ألفاظٍ منمَّقةٍ، وإنَّما هو بناءٌ متكاملٌ يجمعُ بين صـحَّةِ المعنى، وسـلامةِ المقصـدِ، وحُسـنِ الأسـلوبِ، ومراعاةِ أحوالِ المخاطَبينَ.

وللوصولِ إلى المقصودِ، قسَّمنا البحثَ إلى تمهيدٍ وأربعةِ فصولٍ وخاتمةٍ:

- الفصلُ الأولُ: مقوِّماتُ القولِ البليغِ، وفيه أربعةُ مباحثَ.
- الفصلُ الثاني: مقاصدُ القولِ البليغِ، وفيه ثلاثةُ مباحثَ.
- الفصلُ الثالثُ: مساقاتُ إيرادِ القولِ البليغِ، وفيه ثلاثةُ مباحثَ.
- الفصلُ الرابعُ: القولُ البليغُ ووسائلُ التواصلِ الاجتماعيِّ في عصرِ الذكاءِ الاصطناعيِّ.
- ثمَّ خاتمةٌ وتوصياتٌ.

تـــمـــهـــيـــد

التأصيلُ المفاهيميُّ للقولِ البليغ

القولُ البليغُ في اللغةِ والاصطلاح

ترجعُ مادّةُ **بَلَغَ** في اللغةِ إلى الوصـولِ والانتهاءِ إلى الغايةِ؛ فَيُقالُ: بَلَغَ الشيءَ إذا وصـلَ إلى مُنتهاهُ. ومن هذا المعنى اشتُقَّتِ البلاغةُ، فيُقالُ: بَلَغَ المسافرُ مقصدَهُ إذا وصلَ إليه، وكأنَّ الكلامَ البليغَ هو الذي يصلُ من فمِ المتكلِّمِ إلى قلبِ السامعِ وصولًا تامًّا لا يعترضُه حاجبٌ.

وأوَّلُ من أفردَ البلاغةَ بالتعريفِ هو الجاحظُ في القرنِ الثالثِ الهجريِّ، وجاءَ من بعدِهِ الفارابيُّ، فعبدُ القاهرِ الجرجانيُّ، إلى السـكاكيِّ، فابنُ رشـيقٍ، إلى ابنِ خلدونَ، وكلُّ واحدٍ منهم أضـافَ لَبِنَةً في هذا الصرـحِ، واتفقوا تقريبًا على أنَّ البلاغةَ ليسـت في الكلمةِ المفردةِ مهما كانت جميلةً، بل في العلاقةِ بين الكلماتِ وبنيتِها ونسقِها، وهذا ما سُمِّيَ **بنظريّةِ النَّظمِ**.

وأمَّا في الاصـطلاحِ فإنَّ البلاغةَ هي مطابقةُ الكلامِ لمقتضى الحالِ مع فصـاحتِهِ، والقولُ البليغُ هو الجامعُ بين صحَّةِ المعنى، وحُسنِ الأداءِ، وقوَّةِ التأثيرِ؛ لذلك فهي ليست صناعةً لفظيَّةً فقط، بل مرتبطةٌ بالهدايةِ والإصلاحِ وتحقيقِ المقاصدِ الشرعيَّةِ.

القولُ البليغُ في القرآنِ والسنَّةِ

وردَ وصفُ القولِ بالبلاغةِ في قوله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

والآيةُ تدلُّ على أنَّ البلاغةَ ليست مجرَّدَ حُسنِ العبارةِ، وإنَّما هي القدرةُ على النفاذِ إلى النفسِ الإنسانيَّةِ بما يُصلحُها ويُقوِّمُها. كما وردت أوصافٌ أخرى للكلمةِ المؤثِّرةِ، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.

وهذه الأوصافُ تكشفُ عن منظومةٍ متكاملةٍ للخطابِ الإسلاميِّ تقومُ على الحكمةِ والرِّفقِ وحُسنِ التأثيرِ.

وتجلَّتِ البلاغةُ النبويَّةُ في أبهى صورِها؛ فقد وصفَ النبيُّ ﷺ نفسَهُ بقوله :«أُوتيتُ جوامعَ الكَلِمِ» .

فكان يجمعُ المعانيَ الكثيرةَ في الألفاظِ اليسيرةِ.

ومن أمثلةِ ذلك قولُه ﷺ» :«الدِّينُ النصيحةُ» .

وقولُه ﷺ» :«يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبشِّروا ولا تُنَفِّروا» .

ففي هذه النصوصِ تظهرُ خصائصُ البلاغةِ النبويَّةِ من الإيجازِ والوضوحِ وقوَّةِ التأثيرِ ومراعاةِ أحوالِ المخاطَبينَ.

الفصلُ الأولُ
مقوِّماتُ القولِ البليغ

المبحثُ الأولُ: المقوِّماتُ العلميَّةُ

أوَّلُ مقوِّماتِ القولِ البليغِ العلمُ الراسخُ المُسنَدُ؛ لأنَّ الكلمةَ إذا خَلَتْ من العلمِ تحوَّلتْ إلى ادِّعاءٍ أو تضليلٍ.

ولهذا كان أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يؤكِّدون أنَّ المتصدِّرَ للخطابِ لا بدَّ أن يجمعَ بين العلمِ الشرعيِّ المُسنَدِ وفِقهِ الواقعِ.

وكان الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ من أشدِّ الناسِ تحرُّزًا في الفتوى، حتى اشتهرَ عنه قولُه» :لا أدري«، إدراكًا منه لخطورةِ الكلمةِ. وكان يقولُ» :مَن أجابَ في مسألةٍ فينبغي قبلَ الجوابِ أن يَعرِضَ نفسَه على الجنَّةِ والنارِ.«

كما أنَّ العالمَ لا يكتفي بحفظِ النصوصِ، بل يحتاجُ إلى معرفةِ أحوالِ الناسِ ومتغيِّراتِ الزمانِ والمكانِ حتى يكونَ خطابُه موافقًا لمقاصدِ الشريعةِ.

المبحثُ الثانيُ: المقوِّماتُ الأخلاقيَّةُ

لا يكفي العلمُ وحدَه لصناعةِ الخطابِ المؤثِّرِ، بل لا بدَّ من رصيدٍ أخلاقيٍّ يدعمُ الكلمةَ.

وأوَّلُ ذلك الإخلاصُ للهِ تعالى؛ لأنَّ الكلامَ إذا خرجَ من القلبِ وقعَ في القلوبِ.

ويأتي بعدَ ذلك الصدقُ، وهو أساسُ الثقةِ بين المتكلِّمِ والمخاطَبِ.

ثمَّ الرِّفقُ الذي جعلَه النبيُّ ﷺ سببًا للجمالِ في كلِّ شيءٍ، فقال» :ما كانَ الرِّفقُ في شيءٍ إلا زانَه.«

ومن هنا كان الخطابُ القائمُ على التعنيفِ والتشهيرِ أبعدَ ما يكونُ عن البلاغةِ الشرعيَّةِ.

المبحثُ الثالثُ: المقوِّماتُ البلاغيَّةُ

يقومُ القولُ البليغُ على وضوحِ الفكرةِ، وحُسنِ ترتيبِ المعاني، واختيارِ الألفاظِ المناسبةِ.

ومن البلاغةِ أن يُخاطَبَ الناسُ بما يفهمونَ؛ ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه:

»حدِّثوا الناسَ بما يعرفونَ.«

كما أنَّ البلاغةَ الحقيقيَّةَ توازنُ بين مخاطبةِ العقلِ ومخاطبةِ الوجدانِ، فلا تتحوَّلُ إلى خطابٍ جافٍّ، ولا إلى خطابٍ عاطفيٍّ مُجرَّدٍ من الحُجَّةِ.

الفصلُ الثانيُ

مقاصدُ القولِ البليغ

المبحثُ الأولُ: المقاصدُ الدينيَّةُ

إنَّ المقصدَ الأعظمَ للقولِ البليغِ هو تحقيقُ العبوديَّةِ للهِ تعالى من خلالِ هدايةِ الخلقِ إلى الحقِّ، وتبصيرِهم بأمورِ دينِهم، وتقويمِ سلوكِهم وفقَ منهجِ الوحيِ. ولذلك ارتبطَ الخطابُ الشرعيُّ في القرآنِ الكريمِ بمهمَّةِ الأنبياءِ والمرسلينَ، إذ لم تكنْ رسالتُهم مجرَّدَ تبليغٍ للألفاظِ، وإنَّما كانت دعوةً إصلاحيَّةً شاملةً تستهدفُ بناءَ الإنسانِ وإقامةَ العمرانِ على أساسِ الهدايةِ الربَّانيَّةِ.

المطلبُ الأولُ: الهدايةُ إلى الحقِّ

جعلَ اللهُ تعالى وظيفةَ الرسلِ البلاغَ المبينَ، فقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

والمقصودُ بالبلاغِ هنا إيصالُ الحقِّ إلى الناسِ بأوضحِ السُّبُلِ وأحسنِ الأساليبِ. فالقولُ البليغُ ليس غايةً في ذاتِهِ، وإنَّما هو وسيلةٌ لتحقيقِ الهدايةِ وإزالةِ الشبهاتِ وتقويمِ الانحرافاتِ.

ومن تأمَّلَ السيرةَ النبويَّةَ وجدَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُنوِّعُ أساليبَ خطابِهِ بحسبِ أحوالِ المدعوِّينَ، فيستعملُ الحوارَ أحيانًا، والقصَّةَ أحيانًا، وضربَ المثلِ أحيانًا أخرى، تحقيقًا لمقصدِ الهدايةِ.

المطلبُ الثانيُ: التزكيةُ والإصلاحُ

لا تقتصرُ الهدايةُ على تصحيحِ الاعتقادِ، بل تشملُ تزكيةَ النفوسِ وإصلاحَ الأخلاقِ. وقد بيَّنَ القرآنُ الكريمُ أنَّ من وظائفِ الرسالةِ: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

ومن ثمَّ فإنَّ الخطابَ الناجحَ هو الذي يُحدِثُ أثرًا تربويًّا في السلوكِ والأخلاقِ، لا الذي يكتفي بإثارةِ الإعجابِ الفكريِّ أو البلاغيِّ.

المطلبُ الثالثُ: ترسيخُ العقيدةِ والقِيَمِ

يُسهِمُ القولُ البليغُ في ترسيخِ أصولِ الإيمانِ وقِيَمِ الإسلامِ في النفوسِ. فكلَّما كان الخطابُ واضحًا ومقنعًا ومؤثِّرًا، ازدادت قدرةُ المجتمعِ على المحافظةِ على هويَّتِهِ العقديَّةِ والأخلاقيَّةِ.

ولهذا كانت عنايةُ علماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ بتبسيطِ مسائلِ الاعتقادِ وتقريبِها للناسِ. ويظهرُ ذلك جليًّا في مؤلَّفاتِ ابنِ أبي زيدٍ القيروانيِّ، الذي جمعَ بين دقَّةِ العلمِ وسهولةِ العبارةِ.

المبحثُ الثانيُ: المقاصدُ الاجتماعيَّةُ

المطلبُ الأولُ: تحقيقُ السِّلمِ الاجتماعيِّ

الكلمةُ قد تكونُ سببًا في الإصلاحِ كما قد تكونُ سببًا في الفسادِ. ولذلك جعلَ الإسلامُ إصلاحَ ذاتِ البينِ من أعظمِ القُرُباتِ.

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

فالقولُ البليغُ يؤدِّي دورًا محوريًّا في رأبِ الصدعِ، وتقريبِ وجهاتِ النظرِ، وإخمادِ أسبابِ النزاعِ.

المطلبُ الثانيُ: بناءُ الثقةِ بين أفرادِ المجتمع

عندما يتَّصفُ الخطابُ بالصدقِ والإنصافِ والاعتدالِ، تنشأُ الثقةُ بين أفرادِ المجتمعِ ومؤسَّساتِهِ العلميَّةِ والدينيَّةِ. أمَّا إذا غلبتِ المبالغةُ أو التهويلُ أو التشهيرُ، ضعفتِ الثقةُ وازدادَ الانقسامُ.

ومن هنا كان علماءُ الزيتونةِ مثلًا يحرصونَ على خطابٍ يجمعُ ولا يُفرِّقُ، ويبني ولا يهدمُ.

المطلبُ الثالثُ: مواجهةُ الانحرافاتِ الفكريَّةِ

لا تُواجَهُ الأفكارُ المنحرفةُ بالعنفِ اللفظيِّ أو الإساءةِ، وإنَّما بالحُجَّةِ والبيانِ والحوارِ الرشيدِ.

وقد أكَّدَ القرآنُ هذا المنهجَ بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

فالمقصودُ ليس الانتصارَ للذاتِ، وإنَّما الوصولُ إلى الحقِّ وإقناعُ المخالفِ.

المبحثُ الثالثُ: المقاصدُ الحضاريَّة

المطلبُ الأولُ: بناءُ الوعي

يُمثِّلُ القولُ البليغُ أداةً من أدواتِ بناءِ الوعيِ الفرديِّ والجماعيِّ. فالمجتمعاتُ لا تنهضُ بالقوَّةِ المادِّيَّةِ وحدَها، بل تحتاجُ إلى خطابٍ يُوجِّهُ الفكرَ، ويصوغُ الرؤيةَ، ويحدِّدُ الأولويَّاتِ.

المطلبُ الثانيُ: حفظُ الهويَّة

تواجهُ المجتمعاتُ الإسلاميَّةُ اليومَ تحدِّياتٍ ثقافيَّةً وفكريَّةً متعدِّدةً، ممَّا يجعلُ الخطابَ الرشيدَ ضرورةً لحفظِ الهويَّةِ الدينيَّةِ والحضاريَّةِ.

وقد أدركَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، ومنهم علماءُ الزيتونةِ، هذه الحقيقةَ، فجمعوا بين الانفتاحِ على العصرِ والمحافظةِ على الأصولِ والثوابتِ.

المطلبُ الثالثُ: ترسيخُ الوسطيَّة

من أعظمِ مقاصدِ القولِ البليغِ نشرُ الاعتدالِ والوسطيَّةِ ونبذُ الغلوِّ والتفريطِ.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

ولذلك فإنَّ الخطابَ الشرعيَّ الناجحَ هو الذي يُوازنُ بين الثوابتِ والمتغيِّراتِ، وبين النصِّ والواقعِ، وبين المحافظةِ والتجديدِ.

الفصلُ الثالثُ: مساقاتُ إيرادِ القولِ البليغ

قد أدركَ العلماءُ أنَّ البلاغةَ الحقيقيَّةَ لا تنفكُّ عن مراعاةِ أحوالِ المخاطَبينَ وأوضاعِهم، حتى قيل» :لكلِّ مقامٍ مقالٌ.«

أولًا: مساقُ التعليمِ والتربيةِ

يُرادُ به إيرادُ القولِ البليغِ في مجالِ التعليمِ والتكوينِ العلميِّ.

ومن مقتضياتِ البلاغةِ فيه:

التدرُّجُ في عرضِ المسائلِ.

الانتقالُ من المعلومِ إلى المجهولِ.

مراعاةُ مستوى المتعلِّمينَ.

ضربُ الأمثلةِ القريبةِ من واقعِهم.

ثانيًا: مساقُ الوعظِ والإرشادِ

وهو من أكثرِ المواطنِ احتياجًا إلى القولِ البليغِ.

فالواعظُ الناجحُ:

يعرفُ همومَ الناسِ وقضاياهم.

يختارُ الوقتَ المناسبَ للنصيحةِ.

يوازنُ بين الترغيبِ والترهيبِ.

يتجنَّبُ التشديدَ والتنفيرَ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ :«يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا».

ثالثًا: مساقُ الإصلاحِ بين المتخاصمينَ

في هذا المقامِ يكونُ المقصودُ جمعَ القلوبِ لا الانتصارَ للنفسِ أو للرأيِ.

ومن البلاغةِ هنا:

استعمالُ الألفاظِ اللَّيِّنةِ.

تجنُّبُ التوبيخِ العلنيِّ.

تقديمُ المشترَكِ على المختلفِ فيه.

مراعاةُ الحالةِ النفسيَّةِ للطرفينِ.

وقد اشتهرَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ بحُسنِ معالجةِ النزاعاتِ الاجتماعيَّةِ اعتمادًا على فقهِ المصلحةِ ودرءِ المفاسدِ.

رابعًا: مساقُ الفتوى والتوجيهِ الشرعيِّ

وهو من أدقِّ مساقاتِ القولِ البليغِ؛ لأنَّ المفتي لا يُخاطبُ النصوصَ فقط، بل يُخاطبُ واقعًا متغيِّرًا.

قال أحمدُ الونشريسيُّ في نوازلِهِ ما يدلُّ على أهميَّةِ فهمِ الظروفِ المحيطةِ بالواقعةِ قبلَ تنزيلِ الحكمِ عليها.

ومن هنا قرَّر الأصوليُّونَ أنَّ:

«الحكمُ على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّرِهِ.»

فلا تكونُ الفتوى بليغةً نافعةً إلا إذا جمعتْ بين:

فهمِ النصِّ.

فهمِ الواقعِ.

فهمِ مآلاتِ الأفعالِ.

خامسًا: مساقُ الدعوةِ العامَّةِ والخطابِ المجتمعيِّ

يختلفُ خطابُ العامَّةِ عن خطابِ المتخصِّصينَ.

فمن البلاغةِ:

مخاطبةُ الناسِ بما يفهمونَ.

تجنُّبُ المصطلحاتِ المعقَّدةِ.

ربطُ الأحكامِ بمقاصدِها.

معالجةُ القضايا الحاضرةِ في المجتمعِ.

وقد رُويَ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قولُه:

»ما أنتَ بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولُهم إلا كان لبعضِهم فتنةً.«

وهو أصلٌ عظيمٌ في مراعاةِ مستوياتِ المتلقِّينَ.

سادسًا: مساقُ مراعاةِ المكانِ

من أهمِّ عناصرِ القولِ البليغِ أن يختلفَ الخطابُ باختلافِ المكانِ.

فالكلامُ:

في المسجدِ ليس كالكلامِ في الجامعةِ.

في القريةِ ليس كالكلامِ في المدينةِ.

في مجلسِ الصلحِ ليس كالكلامِ في مقامِ التعليمِ.

في وسائلِ التواصلِ ليس كالكلامِ في اللقاءِ المباشرِ.

ولهذا كان أبو الحسنِ الشاذليُّ يراعي أحوالَ البلادِ التي نزلَ بها وأعرافَ أهلِها فيما لا يُخالفُ الشرعَ، ويُخاطبُ الناسَ بما يُقرِّبُ المعنى إلى أفهامِهم.

سابعًا: مساقُ مراعاةِ الزمانِ والواقعِ

الزمانُ يفرضُ على الداعيةِ والمربِّي والمتحدِّثِ موضوعاتٍ وأولويَّاتٍ معيَّنةً.

فمن البلاغةِ:

الحديثُ عن الأمانةِ عند انتشارِ الخيانةِ.

الحديثُ عن وحدةِ الأمَّةِ عند ظهورِ الفُرقةِ.

الحديثُ عن الأخلاقِ الرقميَّةِ في عصرِ التواصلِ الإلكترونيِّ.

معالجةُ النوازلِ المستجدَّةِ بلغةِ العصرِ.

قال عبدُ الرحمنِ بنُ خلدونَ في مقدِّمتِهِ ما يُفيدُ أنَّ أحوالَ المجتمعاتِ تتغيَّرُ بتغيُّرِ الأعصارِ، ومن ثَمَّ يحتاجُ الخطابُ إلى فهمِ الواقعِ المتجدِّدِ.

الفصلُ الرابعُ:
القولُ البليغُ ووسائلُ التواصلِ الاجتماعيِّ
في عصرِ الذكاءِ الاصطناعيِّ

شهدَ العالمُ في العقودِ الأخيرةِ ثورةً رقميَّةً غيرَ مسبوقةٍ، أدَّت إلى ظهورِ وسائلِ تواصلٍ جديدةٍ غيَّرتْ طبيعةَ الخطابِ الإنسانيِّ وطرائقَ التأثيرِ في الرأيِ العامِّ. ثمَّ جاءَ الذكاءُ الاصطناعيُّ ليضاعفَ من سرعةِ إنتاجِ المحتوى وانتشارِهِ، حتى أصبحتِ الكلمةُ الواحدةُ قادرةً على الوصولِ إلى ملايينِ الأشخاصِ في لحظاتٍ معدودةٍ.

وفي ظلِّ هذه التحوُّلاتِ تبرزُ الحاجةُ إلى استحضارِ مفهومِ »القولِ البليغِ «بوصفِهِ ضابطًا أخلاقيًّا وعلميًّا للخطابِ الرقميِّ، يضمنُ سلامةَ المحتوى، وحُسنَ المقصدِ، وجمالَ الأسلوبِ.

أولًا: أهميَّةُ القولِ البليغِ في البيئةِ الرقميَّةِ

لم تَعُدِ الكلمةُ حبيسةَ المجالسِ أو المنابرِ التقليديَّةِ، بل أصبحتْ تنتشرُ- عبرَ المنصَّاتِ الرقميَّةِ انتشارًا واسعًا، وهذا الانتشارُ يجعلُ مسؤوليَّةَ المتكلِّمِ أعظمَ من ذي قبلِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

فالرقابةُ الإلهيَّةُ تشملُ الكلمةَ المكتوبةَ كما تشملُ الكلمةَ المنطوقةَ، بل إنَّ أثرَ الكلمةِ الرقميَّةِ قد يكونُ أوسعَ وأبقى.

ومن هنا فإنَّ القولَ البليغَ في وسائلِ التواصلِ لا يقتصرُ- على حُسنِ الصياغةِ، بل يشملُ التثبُّتَ من المعلوماتِ، واحترامَ المخاطَبينَ، وتجنُّبَ الإثارةِ غيرِ المسؤولةِ.

ثانيًا: الذكاءُ الاصطناعيُّ بين الفرص والتحدِّياتِ

أتاحَ الذكاءُ الاصطناعيُّ إمكاناتٍ كبيرةً في خدمةِ العلمِ والدعوةِ والتعليمِ، من خلالِ تسهيلِ الوصولِ إلى المعلوماتِ، والمساعدةِ في إعدادِ البحوثِ، وترجمةِ المحتوياتِ، وتحسينِ وسائلِ التواصلِ.

غيرَ أنَّ هذه التقنيةَ تطرحُ تحدِّياتٍ أخلاقيَّةً وعلميَّةً، من أهمِّها:

نشرُ المعلوماتِ غيرِ الدقيقةِ.

سهولةُ إنتاجِ المحتوى المضلِّلِ.

ضعفُ التحقُّقِ من المصادرِ.

تضخُّمُ الخطابِ العاطفيِّ على حسابِ الخطابِ العلميِّ.

إمكانُ توظيفِ التقنيةِ في صناعةِ الشائعاتِ.

ولهذا يُصبحُ القولُ البليغُ في العصرِ الرقميِّ مرتبطًا بفضيلةِ التثبُّتِ التي أكَّدها القرآنُ الكريمُ في قولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

ثالثًا: ضوابطُ القولِ البليغِ في عصرِ الذكاءِ الاصطناعيِّ

يمكنُ تحديدُ أهمِّ الضوابطِ فيما يأتي:

١ - التثبُّتُ من المعلوماتِ

فلا يجوزُ نشرُ الأخبارِ أو الأقوالِ قبلَ التأكُّدِ من صحَّتِها؛ لأنَّ سرعةَ النشرِ لا تُعفي من المسؤوليَّةِ الشرعيَّةِ والأخلاقيَّةِ.

٢-مراعاةُ المقاصدِ الشرعيَّةِ

ينبغي أن يكونَ الهدفُ من الخطابِ الإصلاحَ والبناءَ ونشرَ المعرفةِ، لا إثارةَ الجدلِ أو تحقيقَ الشهرةِ.

٣-احترامُ الكرامةِ الإنسانيَّةِ

3 قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

وهو أصلٌ عظيمٌ في الخطابِ الرقميِّ، يقتضي اجتنابَ السخريةِ والتنمُّرِ والإساءةِ والتشهيرِ.

٤-الجمعُ بين الإيجازِ والإفادةِ

تفرضُ طبيعةُ المنصَّاتِ الرقميَّةِ خطابًا مختصرًا، غيرَ أنَّ الاختصارَ لا ينبغي أن يؤدِّيَ إلى الإخلالِ بالمعنى أو تشويهِ الحقائقِ.

٥-المحافظةُ على المصداقيَّةِ العلميَّةِ

كلَّما ازدادَ انتشارُ أدواتِ الذكاءِ الاصطناعيِّ ازدادتْ أهميَّةُ الأمانةِ العلميَّةِ، وضرورةُ نسبةِ الأقوالِ إلى أصحابِها، والتمييزِ بين الحقائقِ والآراءِ.

رابعًا: الاستفادةُ من تراثِ العلماءِ في بناءِ الخطابِ الرقميِّ

إنَّ المتأمِّلَ في مناهجِ علماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ يجدُ أنَّهم قدَّموا نماذجَ رائدةً في الحكمةِ والرِّفقِ ومراعاةِ أحوالِ الناسِ.

فالإمامُ مالكٌ علَّمَ الأمَّةَ التثبُّتَ في القولِ.

وابنُ عاشورٍ أبرزَ أهميَّةَ فهمِ الواقعِ.

والإمامُ عبدُ اللهِ بنُ علويٍّ الحدادِ ركَّزَ على إصلاحِ القلوبِ وبناءِ الأخلاقِ.

وهذه المبادئُ ما تزالُ صالحةً لتوجيهِ الخطابِ الرقميِّ المعاصرِ، بل إنَّ الحاجةَ إليها اليومَ أشدُّ من أيِّ وقتٍ مضى.

الخاتِمَـــــة

بعدَ هذه الجولةِ العلميَّةِ في موضوعِ القولِ البليغِ نضعُ بين أيديكم أهمَّ النتائجِ:

١. أنَّ القولَ البليغَ في المنظورِ الإسلاميِّ يقومُ على الجمعِ بين صحَّةِ المعنى، وحُسنِ الأداءِ، ومراعاةِ المقصدِ الشرعيِّ.

٢. أنَّ القرآنَ الكريمَ والسُّنَّةَ النبويَّةَ وضعا أصولًا متكاملةً للخطابِ المؤثِّرِ من خلالِ الحكمةِ، والموعظةِ الحسنةِ، والقولِ اللَّيِّنِ.

٣. أنَّ البلاغةَ الحقيقيَّةَ مرتبطةٌ بالأخلاقِ والإخلاصِ بقدرِ ارتباطِها بالفصاحةِ والبيانِ.

٤. أنَّ مراعاةَ الزمانِ والمكانِ وأحوالِ المخاطَبينَ تُعَدُّ من أهمِّ شروطِ نجاحِ الخطابِ.

٥. أنَّ القولَ البليغَ يُسهِمُ في تحقيقِ الهدايةِ والإصلاحِ، وبناءِ الوعيِ، وتعزيزِ السِّلمِ الاجتماعيِّ.

٦. أنَّ الذكاءَ الاصطناعيَّ ووسائلَ التواصلِ الاجتماعيِّ يفرضانِ تحدِّياتٍ جديدةً تستوجبُ تطويرَ أدواتِ الخطابِ مع المحافظةِ على ثوابتِهِ الأخلاقيَّةِ والعلميَّةِ.

٧. أنَّ نجاحَ الخطابِ الرقميِّ المعاصرِ يتوقَّفُ على الجمعِ بين التقنيَّةِ الحديثةِ والقِيَمِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

ونسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِهِ الكريمِ، نافعًا لكاتبِهِ وقارئِهِ، وأن يوفِّقَنا جميعًا لحُسنِ القولِ والعملِ، إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

التوصياتُ التطبيقيَّةُ

أولًا: في مجالِ التكوينِ العلميِّ والدعويِّ

١. إدراجُ مادَّةِ «فقهِ الخطابِ والقولِ البليغِ» ضمن برامجِ تكوينِ الأئمَّةِ والخطباءِ والدعاةِ.

٢. العنايةُ بتدريسِ نماذجَ تطبيقيَّةٍ من تراثِ علماءِ الأمَّةِ، كعلماءِ أصحابِ المذاهبِ، وعلماءِ المدارسِ الإسلاميَّةِ كالمدرسةِ الزيتونيَّةِ والمدرسةِ الحضرميَّةِ، في مؤسَّساتِ التعليمِ الشرعيِّ.

٣. تطويرُ برامجَ تدريبيَّةٍ تجمعُ بين علومِ الشريعةِ ومهاراتِ التواصلِ والإقناعِ.

ثانيًا: في مجالِ الإعلامِ الرقميِّ

٤. إنشاءُ منصَّاتٍ إعلاميَّةٍ متخصِّصةٍ في نشرِ الخطابِ المعتدلِ القائمِ على الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ.

٥. إعدادُ أدلَّةٍ مهنيَّةٍ وأخلاقيَّةٍ تضبطُ الخطابَ الدينيَّ في وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ.

٦. تشجيعُ إنتاجِ محتوى رقميٍّ يجمعُ بين العمقِ العلميِّ والأسلوبِ الجذَّابِ المناسبِ للأجيالِ الجديدةِ.

ثالثًا: في مجالِ الذكاءِ الاصطناعيِّ

٧. توظيفُ تطبيقاتِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في خدمةِ التعليمِ الشرعيِّ ونشرِ المعرفةِ الموثوقةِ.

٨. إنشاءُ قواعدِ بياناتٍ رقميَّةٍ للتراثِ الإسلاميِّ لتسهيلِ الإفادةِ منها.

٩. تطويرُ نماذجَ ذكاءٍ اصطناعيٍّ عربيَّةٍ تُراعي القِيَمَ الأخلاقيَّةَ والثقافيَّةَ للمجتمعاتِ الإسلاميَّةِ.

رابعًا: في مجالِ البحثِ العلميِّ

١٠. تشجيعُ الدراساتِ المقارنةِ بين المدارسِ العلميَّةِ الإسلاميَّةِ في مجالِ الخطابِ والتواصلِ.

١١. دعمُ البحوثِ المتعلِّقةِ بأثرِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في تشكيلِ الرأيِ العامِّ والخطابِ الدينيِّ.

١٢. إنشاءُ مراكزَ بحثيَّةٍ متخصِّصةٍ في دراسةِ التحوُّلاتِ الرقميَّةِ وآثارِها على البلاغةِ والدعوةِ والإصلاحِ.

خامسًا: في المجالِ المجتمعيِّ

١٣. نشرُ ثقافةِ التثبُّتِ من الأخبارِ والمعلوماتِ قبلَ تداولِها.

١٤. تعزيزُ قِيَمِ الحوارِ واحترامِ الاختلافِ في الفضاءِ الرقميِّ.

١٥. ترسيخُ مبدأِ المسؤوليَّةِ الأخلاقيَّةِ للكلمةِ المكتوبةِ والمنطوقةِ في جميعِ وسائلِ التواصلِ.

قائمة مراجع مختصرة للرسالة

صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

الأدب المفرد.

رياض الصالحين.

دلائل الإعجاز للجرجاني.

أسرار البلاغة للجرجاني.

الإيضاح للقزويني.

التحرير والتنوير لابن عاشور.

مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور.

الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

قواعد التصوف لأحمد زروق.

الدعوة التامة والتذكرة العامة للإمام الحداد.

النصائح الدينية للإمام الحداد.

رسالة المعاونة للإمام الحداد.

رسائل الإصلاح لمحمد الخضر حسين.